المخاطر النفس–اجتماعية لعمالة الأطفال.

أ.جابر مليكة/جامعة ورقلة
أ.طويل فتيحة/جامعة بسكرة

الإشكالية:

يعيش أطفال العالم "النامي" واقعا يختلف في كثير من مناحيه عما يسطر لهم في البرامج و الاتجاهات الداعية للدفاع عن حقوقهم، و توفير الرعاية لهم، و الرفع من مستوى الإمكانيات المعيشية لهم، على اعتبار أن ظروف هذه الفئة و الحفاظ على حقوقها أضحى من بين أهم المؤشرات الدالة عن مدى تقدم مجتمعاتهم.

فهذه الفئة تواجه الأمراض و الفقر، و الأمية، كما أنها عرضة للمجاعات و الأوبئة و هذا ما يضطرهم في كثير من الأحيان إلى التخلي عن مقاعد الدراسة و الولوج إلى عالم الكبار وممارسة أعمال تختلف في مشاقها و تبعاتها.

ولا يمكننا أن نستثني أطفال الجزائر من هذا الواقع بحيث بدأت ظاهرة عمالة الأطفال تظهر بصورة ملفتة للنظر، و أصبحت صورة هؤلاء الأطفال الذين يقضون اليوم في التجول عبر أسواق و أحياء المدن معلنين عن السلع المختلفة التي يبيعونها مشهدا يوميا.

ونتيجة لهذه الأعمال و متطلباتها يتعرض هؤلاء إلى خيرات متنوعة يمكن أن تعرضهم إلى مخاطر كثيرة، وعليه نحاول في هذه المداخلة الإجابة على سؤالين هما:

– ما هي الخبرات التي يتعرض لها هؤلاء الأطفال؟

– ما المخاطر النفس –اجتماعية الناجمة عن هذه الخبرات؟

أولا: تعريف عمالة الأطفال:

هناك العديد من التعاريف التي أطلقت على مصطلح عمالة الأطفال ويمكن تلخيص هذه التعاريف في اتجاهين:

الأول ينظر للظاهرة بشكل سلبي على أنها: "العمل الذي يضع أعباء ثقيلة على الطفل لا تتلاءم مع نموه الفيزيولوجي مما يمثل تهديدا لسلامة و صحة الطفل و يعد استغلالا له"[1]

أما الثاني فيراها بشكل إيجابي: فيفضل مصطلح '' عمل الأطفال'' لإكساب المصطلح الطابع الإيجابي من خلال التركيز على المنافع و الفوائد الممكن إحرازها و عليه فهو يتضمن **كافة الأعمال التطوعية أو حتى المأجورة التي يقوم بها الطفل و المناسبة لعمره و قدراته**[2]

ثانيا:حجم عمالة الأطفال في العالم:

تقدر منظمة العمل الدولية عدد الأطفال العاملين الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والرابعة عشرة بحوالي 250 مليونا في البلدان النامية، منهم 120 مليونا على الأقل متفرغون للعمل. ومن هؤلاء، توجد نسبة 61 في المائة في آسيا، ونسبة 32 في المائة في أفريقيا، ونسبة 7 في المائة في أمريكا اللاتينية. وعدد الأطفال الذين يعملون في البلدان المتقدمة صغير نسبيا. وقد أشارت تقديرات سابقة لمنظمة العمل الدولية إلى أن عدد الأطفال العاملين بلغ حوالي 80 مليون طفلا في كافة أرجاء العالم، منهم 73 مليونا تتراوح أعمارهم بين العاشرة والرابعة عشرة. ويعتقد أن تلك التقديرات السابقة مالت إلى الجانب المنخفض، حيث أنها توحي على سبيل المثال بأن معدل اشتراك الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والرابعة عشرة في قوة العمل بلغ 14 في المائة فقط، مع أنه تقابلها أرقام أعلى كثيرا خاصة بالنسبة المئوية للأطفال غير المنتظمين في المدارس[3].

ثالثا: أشكال عمالة الأطفال:

تتخذ هذه الظاهرة عدة أشكال صنفتها منظمة العمل الدولية إلى:

1. **الأعمال الصناعية:** وتشمل هذه الفئة الأعمال التي يؤديها الأطفال في المناجم والمحاجر وكل أنواع الصناعات الإستخراجية، كما تشمل أيضا الصناعات التحويلية وكذلك الصناعات المرتبطة بالنقل والسكك الحديدية كبناء وتجديد وإصلاح الطرق والسكك الحديدية.
2. **العمل على ظهر السفن:** وتشمل جميع أنواع السفن والبواخر والقوارب والمراكب[4]
3. **العمل الزراعي:** وهو العمل في أية منشأة زراعية عامة أو خاصة، حيث يستغل الأطفال عادة في عمليات جني المحاصيل وجمعها.
4. **العمل في المناجم:** أي العمل على استخراج المواد الموجودة تحت الأرض مهما كان نوعها.

5. **الخدمة المنزلية:** وتعد أكثر الأشكال انتشارا خاصة في المناطق الحضرية وتنتشر لدى الإناث أكثر منها لدى الذكور.
6. **تجارة الجنس:** بالرغم من أن هذا النوع يحاط بكثير من التكتم إلا أن بعض الدراسات تؤكد استفحاله في الكثير من مناطق العالم.[5]
7. **العمل في الشوارع:** وتشمل هذه الأعمال مجموعة من الأعمال الهامشية كبيع بعض المنتجات الصغيرة أو غسيل السيارات أو مسح الأحذية بالإضافة إلى جمع المواد الممكن تصنيعها من المنازل والقمامات لإعادة بيعها.

ونجد أن هذه الأنواع الأشكال في غالب الأحيان هي أنشطة لا تشملها الإحصاءات الرسمية ولا تخضع للروتين الإداري، كما أن الأفراد الذين يمتهنونها عرضة للانحدار الاجتماعي ولا يتمتعون بأية حماية قانونية.[6]

رابعا: آثار عمالة الأطفال:

أكدت الاتفاقيات الدولية على ضرورة توفير الحماية للأطفال من الاستغلال بوجه عام، ومن الاستغلال الاقتصادي بوجه خاص .في مجال تشغيل الأطفال،لما للظاهرة من مخاطر يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

1. **<u>من حيث النمو الجسدي:</u>**

نتيجة هذه الأعمال تتأثر صحة هؤلاء الأطفال سلبا لأنها (الأعمال) تكون في الغالب لا تتناسب مع الحالة الجسدية للطفل، كما يمكن أن يتعرض الطفل بسببها للسقوط من أماكن مرتفعة فيتضرر السمع والبصر والقوة الجسدية، كما يمكن أن يتعرض للخنق، والتعرض إلى الغازات السامة و غيرها.

2. **<u>التطور المعرفي:</u>** بتوجه الطفل إلى العمل يتعين عليه في كثير من الأحيان أن يترك الدراسة وبالتالي فإن قدراته وتطوره المعرفي ينخفضان، إضافة إلى أن إبداعه يقل[7]
3. **<u>التطور العاطفي:</u>** من الناحية العاطفية يمكن ملاحظة المؤشرات التالية على الطفل العامل:

- يفقد احترامه لذاته نتيجة إحساسه بالنقص لأن هذه الأعمال تكون عادة ما تحتل مكانة متدنية في سلم التقدير الاجتماعي.
- يتأثر ارتباطه الأسري نتيجة سخطه على أوضاع الأسرة التي دفعته للعمل، فمعظم الدراسات تسير إلى أن الفقر أهم عامل يدفع بالأطفال إلى العمل*
- تظهر لديه مشاعر الظلم و الإحباط مما يؤثر سلبا على علاقاته، وتولد هذه المشاعر نتيجة العوامل السابقة.

4. **<u>التطور الاجتماعي والأخلاقي</u>:** إن الاحتكاك المبكر للطفل بعالم الكبار وخاصة عالم الشغل في مرحلة مبكرة يؤدي به إلى:

- تقليد سلوكات الكبار الغير مستحبة.
- وراثة المكانة الاجتماعية المنخفضة.
- الانحراف (الإدمان على التدخين والمخدرات....).[8]

5. **<u>من الناحية النفسية</u>:** أما من الناحية النفسية فنجد عند الأطفال العاملين الصفات أو الخصائص التالية:

- الشعور بالنقص مقارنة بالأطفال الآخرين الذين تتوفر لهم الظروف لحياة طبيعية.
- الميل إلى العدوانية، والشغب، والعنف ويرجع ذلك بالأساس إلى فقدان الرعاية الأسرية اللازمة من جهة، وما يعايشونه من سلوكات ومظاهر عنيفة في بيئة العمل.[9]

و هنا لا بد من الإشارة بتحفظ إلى بعض الآراء التي تذكر بعض الآثار الإيجابية لعمالة الأطفال كزيادة دخل الأسرة واكتساب الطفل لمهارات جديدة، وشعور الطفل بالرضا لمساهمته في تحمل أعباء الأسرة.

خامسا: الجانب المنهجي للدراسة:

- <u>العينة</u> : اعتمدنا في هذه المداخلة على عينة غير احتمالية قصديه مكونة من 50 طفل عامل.

<u>الأداة</u> :تم تصميم استمارة مكونة من 26 سؤال مقسمة إلى ثلاثة محاور يختص الأول بالبيانات العامة للمبحوث والمدة التي قضاها في العمل، والحالة الاقتصادية للأسرة،

بينما اهتم الثاني بالخبرات التي يمر بها هؤلاء الأطفال في حين عالج المحور الثالث أهم الآثار الناجمة عن هذه الخبرات.

سادسا: نتائج الدراسة الميدانية:

- **<u>بالنسبة للخبرات</u>:**

1 – <u>مكان العمل</u>:

- **36%** يعملون في الأسواق
- 22% على حواف الطرق
- 10% في دكاكين عائلة أو ملك للخواص
- 18% منتقلون (ورشات البناء)

<u>2 – أوضحت إجابات المفحوصين أنهم عايشوا الخبرات التالية</u>

- شجارات وعنف بدني 30.49%
- سرقات و محاولات اختطاف 26.22%
- عنف لفظي ومعنوي 25%
- إحتيالات، غش في الميزان تغيير الأسعار+ غش في المواد المختلفة 12.20%

- **<u>المخـاطر</u>:**

<u>المخاطر ذات العلاقة بالنمو الجسدي</u> :

1– <u>الحالة الصحية للمفحوصين</u> :

جيدة 32% متوسطة 38% ضعيفة 30%

2– أمـا الأمـراض التـي يعـاني منهـا المبحـوثين نجـد 54% مـنهم تسـبب لهـم العمـل الإصابة بالأمراض.

- :62.96% منهم يعانون أنواعا مختلفة من الحساسية
- 37.03% يعانون من الربو.

وهذا يوضح أن السلامة المهنية المتوفرة لهؤلاء الأطفال غير كافية فهم يتعرضون للعديد من الإصابات لأن قدراتهم الجسمية لم تكتمل بعد.

<u>المخاطر ذات العلاقة بالنمو المعرفي</u>:

- بينت الدراسة أن 72% من المبحوثين تركوا مقاعد الدراسة لأسباب تراوحت بين
- 31.11% نتيجة الضغط من العائلة

- 26.66% طردوا نتيجة لمستواهم التعليمي الضعيف
- 22.22% تركوا الدراسة برغبة شخصية
- 20% نتيجة الإحساس بضرورة عملهم للأسرة

المخاطر ذات علاقة بالنمو الاجتماعي تشمل المظاهر التالية:

1- اكتساب سلوكات غير مقبولة اجتماعيا نتيجة احتكاكهم بالكبار :

- تعرض المبحوثين إلى السلوكات العدوانية التالية:

- 25.89% للشتم - 24.70% للضرب - 17.65% للاعتداءات الجنسية

-16.47% لسرقة بضائعهم و ممتلكاتهم

- 15.29% تعرضوا لمحاولات اختطاف

أما عن تكرار هذه السلوكات فعبر المبحوثون أنهم تعرضوا لها أحيانا بنسبة 50% و دائما بنسبة 32% أما بصفة نادرة فبنسبة 18%

أما رد فعل الأطفال تجاه هذه السلوكات فاتخذ المظاهر التالية:

- الرد بضرب المعتدي بنسبة 48 %
- الاستعانة بأشخاص آخرين للرد على المعتدي 34%
- الخوف و الهروب و عدم الرد بنسبة 18 %

2- وراثة المكانة المنخفضة للأسرة :

بينت الدراسة الميدانية أن الحالة الاقتصادية لأسر 54 % من المبحوثين متوسطة و 46 % متدنية أما عن مهن أباء مبحوثين فهي

الآباء	الأمهات
– بطال 22 %	– بدون مهنة 52 %
– حارس 20 %	-منظفة 28 %
– بناء 12 %	-غير موجودة 20 %
– متقاعد 12 %	
– تاجر 10 %	
– عامل نظافة 10%	
– غير موجود14 %	

و الملاحظ أن هده المهن في مجملها تحتل مكانة متدنية في سلم التقدير الاجتماعي.
وتتفق هذه النتيجة مع الدراسة التي أجرتها أماني عبد الفتاح، والتي توصلت من خلالها أن 53% من أسر الأطفال العاملين ضعيفي الدخل ولا يتناسب دخلهم مع العدد الكبير للأطفال[10]

وهو ما يحد من الاختيارات المتاحة أمامهم للمهن التي يمارسونها وهو ما وضحته الدراسة حيث وجدنا أن المهن التي يعملون بها تتمثل في:

بائع (خضر، تبغ، جرائد، خبز يابس ...) 40 %

مساعد بناء (العمل في ورشة بناء) 36 %

حمال (في الأسواق، والدكاكين الخاصة بالعائلة وملك الخواص) 24 %

3– الانحراف : و يظهر في المؤشرات التالية:

– الإدمان عن التدخين حيث أن 64% من أفراد العينة مدخنون

– الإدمان على المخدرات 52% جربوا مواد مخدرة كالمخدرات– أدوية و الغراء....

– 50% منهم يستخدمون هذه المواد بصفة دائمة و 38.46% بصفة مؤقتة.

المخاطر ذات العلاقة بالتطور العاطفي و النفسي:

1- توتر العلاقة مع الأسرة:

- يرى 48% من المبحوثين أن علاقتهم بأسرهم عادية أو روتينية و 38% يعتبرونها متوترة و غير مستقرة في حين 14% يصفونها بأنها جيدة عموما.

- مما أدى إلى أن 54% يلجأون للأصدقاء في حل مشاكلهم و 28% يلجأون للإخوة الأقرب سنا.

الشعور بالذنب تجاه وضعيتهم الحالية

- أجاب 58.49 % أنهم هم أنفسهم السبب في وضعيتهم الحالية بينما 20.75% منهم يرون أن الأسرة أما الأصدقاء فبنسبة 11.32 %

- يشعر 50 % منهم بالندم على ترك الدراسة

- يشعر 92 % من أفراد العينة بضرورة تغيير واقعهم الحالي كما يأمل 41.67 % منهم العودة إلى مقاعد الدراسة لو سمحت لهم الفرصة

- من بين الجوانب التي اتفق المفحوصين على ضرورة تغييرها في حياتهم :

- الحالة النفسية خاصة تجاوز حالة الاكتئاب التي يعيشونها و تعزيز الثقة بالنفس لتجاوز نظرة الآخرين لهم.

- المكانة الاجتماعية و الاقتصادية لهم ولأسرهم لتتحسن العلاقات الأسرية.

- تحسين الحالة الصحية لهم.

وهو ما يوضح إحساسهم بأن وضعيتهم الحالية غير طبيعية وأنهم يريدون تغييرها وهو ما تؤكده دراسة أماني عبد الفتاح بحيث أسفرت هذه الدراسة على أن 93.9 % تركوا الدراسة لمساعدة الأسرة، و51 % منهم يرغبون في العودة إلى مدارسهم مرة أخرى إذا ما سمحت الظروف[11]

هذه الحالة من عدم الرضا تعكس حالة عدم الاستقرار التي يعيشها هؤلاء الأطفال.

الخاتمة:

ظاهرة عمالة الأطفال ظاهرة متداخلة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والثقافية، وقد عرفت هذه الظاهرة انتشارا واسعا على المستوى العالمي وهو ما أدى بالدارسين إلى التنبيه إلى ضرورة التصدي لها، وذلك لما تخلفه من آثار اجتماعية ونفسية خطيرة تمس فئة حساسة من المجتمع تحتاج إلى رعاية أفضل لضمان مستقبل المجتمع.

ولا يمكن أن يتم التصدي لهذه الظاهرة إلا بإعادة النظر في منظوماتنا التشريعية والقانونية والتربوية والاجتماعية الثقافية وبخلق إطار حياة أفضل للأجيال القادمة.

الهوامش

[1] **Collection Microsoft ® Encarta ® 2005.** © 1993-2004 Microsoft Corporation.

[2] خالد سليمان، أضواء على ظاهرة عمالة الأطفال، في: "عالم الفكر"، العدد الثالث، مارس 2002، الكويت،ص 126.

[3] http://www1.worldbank.org/sp/childlabor/documents child / %20labor.doc le: 02/11/2007.

[4] خالد سليمان، مرجع سبق ذكره، ص129.

[5] http://www.hrinfo.net/egypt/ecrc/2005/pr0400-1.shtml

[6] إسماعيل قيرة، الفقر ومواقف الجماعات المهيمنة في ظل تنامي آليات الاستغلال الجديدة، في: مجلة الباحث الاجتماعي، مجلة دورية تصدر عن قسم علم الاجتماع، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد الرابع، أفريل 2003، ص ص 21-22.

[7] http://www.bintjbeil.com/A/news/2002/0702_tobacco.html le:29-10-2007

[*] هذا ما تشير إليه معظم الدراسات التي أجريت في هذا المجال، ونذكر منها على سبيل المثال دراسة الدكتور إسماعيل قيرة حول الفقر، أنظر: إسماعيل قيرة، مرجع سبق ذكره، وأماني عبد الفتاح، عمالة الأطفال كظاهرة اجتماعية ريفية،عالم الكتب، مصر، 2001-

[8] http://www.bintjbeil.com/A/news/2002/0702_tobacco.html, le: 30-10-2007.

[9] محمد سيد فهمي، الفئات الخاصة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،بدون تاريخ، ص 18.

[10] أماني عبد الفتاح، مرجع سبق ذكره، ص 176.

[11] المرجع نفسه،ص 178.